@ 573 @ قولا وعملا ، فلا سبيل لكم إلى الهداية إلا بطاعته ، وبدون ذلك ، لا يمكن ، بل هو محال . ! 2 2 ! أي : تبليغكم البين الذي لا يبقي لأحد ، شكا ولا شبهة ، وقد فعل صلى ا عليه وسلم ، بلغ البلاغ المبين ، وإنما الذي يحاسبكم ، ويجازيكم ، هو ا تعالى ، فالرسول ، ليس له من الأمر شيء ، وقد قام بوظيفته . ^ (وعد ا الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئا ومن كفر بعد ذلك فأول ئك هم الفاسقون) ^ هذا من وعوده الصادقة ، التي شوهد تأويلها ومخبرها ، فإنه وعد من قام ، بالإيمان والعمل الصالح ، من هذه الأمة ، أن يستخلفهم في الأرض ، فيكونون هم الخلفاء فيها ، المتصرفين في تدبيرها ، وأن يمكن لهم دينهم ، الذي ارتضى لهم ، وهو دين الإسلام ، الذي فاق الأديان كلها . ارتضاه لهذه الأمة ، لفضلها وشرفها ونعمته عليها ، بأن يتمكنوا من إقامته ، وإقامة شرائعه الظاهرة والباطنة ، في أنفسهم وفي غيرهم ، لكون غيرهم من أهل الأديان وسائر الكفار ، مغلوبين ذليلين ، وأنه يبدلهم أمنا من بعد خوفهم ، حيث كان الواحد منهم ، لا يتمكن من إظهار دينه ، وما هو عليه إلا بأذى كثير من الكفار ، وكون جماعة المسلمين قليلين جدا ، بالنسبة إلى غيرهم ، وقد رماهم أهل الأرض ، عن قوس واحدة ، وبغوا لهم الغوائل . فوعدهم ا هذه الأمور ، وقت نزول الآية ، وهي لم تشاهد الاستخلاف في الأرض ، والتمكين فيها ، والتمكين من إقامة الدين الإسلامي ، والأمن التام ، بحيث يعبدون ا ، ولا يشركون به شيئا ، ولا يخافون أحدا إلا ا ، فقام صدر هذه الأمة ، من الإيمان والعمل الصالح بما يفوق على غيرهم . فمكنهم من البلاد والعباد ، وفتحت مشارق الأرض ومغاربها ، وحصل الأمن التام ، والتمكين التام ، فهذا من آيات ا العجيبة الباهرة . ولا يزال الأمر إلى قيام الساعة ، مهما قاموا بالإيمان ، والعمل الصالح فلا بد أن يوجد ما وعدهم ا ، وإنما يسلط ا عليهم الكفار والمنافقين ، ويديلهم في بعض الأحيان ، بسبب إخلال المسلمين ، بالإيمان والعمل الصالح . ! 2 2 ! التمكين والسلطنة التامة لكم ، يا معشر المسلمين . ! 2 2 ! الذين خرجوا عن طاعة ا ، وفسدوا ، فلم يصلحوا لصالح ، ولم يكن فيهم أهلية للخير ، لأن الذي يترك الإيمان في حال عزه وقهره ، وعدم وجود الأسباب المانعة منه ، يدل على فساد نيته ، وخبث طويته ، لأنه لا داعي له لترك الدين ، إلا ذلك . ودلت هذه الآية ، أن ا قد مكن من قبلنا ، واستخلفهم في الأرض ، كما قال موسى لقومه : ! 2 2 ! وقال تعالى : ! 2 2 ! (وأقيموا الص لاة وآتوا الزك اة وأطيعوا الرسول لعلكم

ترحمون * لا تحسبن الذين كفروا معجزين في الأرض ومأواهم النار ولبئس المصير) ^ يأمر تعالى بإقامة الصلاة ، بأركانها ، وشروطها ، وآدابها ، ظاهرا وباطنا ، وبإيتاء الزكاة من الأموال ، التي استخلف ا عليها العباد ، وأعطاهم إياها ، بأن يؤتوها الفقراء وغيرهم ، ممن ذكرهم ا ، لمصرف الزكاة . فهذان أكبر الطاعات وأجلها ، جامعتان لحقه ، وحق خلقه للإخلاص للمعبود ، وللإحسان إلى العبيد ، ثم عطف عليهما الأمر العام ، فقال : ^ (وأطيعوا الرسول) ^ وذلك بامتثال أوامره ، واجتناب نواهيه ^ (من يطع الرسول فقد أطاع ا) ^ . ^ (لعلكم) ^ حين تقومون بذلك ^ (ترحمون) ^ فمن أراد الرحمة ، فهذا طريقها ، ومن رجاها من دون إقامة الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وإطاعة الرسول ، فهو متمن كاذب ، وقد منته نفسه الأماني الكاذبة . ^ (لا تحسبن الذين كفروا معجزين في الأرض) ^ فلا يغررك ما متعوا به في الحياة الدنيا ، فإن ا ، وإن أمهلهم فإنه لا يهملهم ^ (نمتعهم قليلا ثم نضطرهم إلى عذاب غليظ) ^ . ولهذا قال هنا : ^ (ومأواهم النار ولبئس المصير) ^ أي : بئس المآل ، مآل الكافرين ، مآل الشر والحسرة ، والعقوبة الأبدية . ^ (يأيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرات من قبل ص لاة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ومن بعد صلاة العشآء ثلاث عورات لكم ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن طوافون عليكم بعضكم على بعض كذلك يبين ا لكم الآيات وا عليم حكيم * وإذا بلغ الأطفال منكم الحلم فليستأذنوا كما استأذن الذين من قبلهم كذلك يبين ا لكم آياته وا عليم حكيم) ^ أمر المؤمنين أن يستأذنهم مماليكهم ، والذين لم يبلغوا الحلم منهم . قد ذكر ا حكمته وأنه ثلاث عورات للمستأذن عليهم ، وقت نومهم بالليل بعد العشاء ، وعند انتباههم قبل صلاة الفجر ، فهذا في الغالب أن النائم يستعمل للنوم في الليل ، ثوبا غير ثوبه المعتاد ، وأما نوم النهار ، فلوكان في الغالب قليلا ، قد ينام فيه العبد بثيابه المعتادة ، قيده بقوله : ^ (وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة) ^ أي : للقائلة ، وسط النهار . ففي هذه الأحوال الثلاثة ، يكون المماليك والأولاد الصغار ، كغيرهم ، لا يمكنون من الدخول إلا بإذن ، وأما